**لمحاضرة الأولى: مدخل إلى علم الكلام**

يعتبر علم الكلام من العلوم الإسلاميّة الأصيلة على خلاف الفلسفة الإسلاميّة الّتي هي من نتائج تأثّر المسلمين بالفلسفة اليونانيّة ، وإن كان علم الكلام أحد أهمّ مباحثها فإنّه إبداع وضعه المسلمون كما أبدعوا في وضع علم الفقّه وأصول الفقّه ومناهج البحث والبلاعة وغيرها من العلوم .

تميّز علم الكلام بخصوصيّة الموضوع والمنهج والغرض والمرجعيّة كذلك ، فهو يختلف عن علوم البرهان كالفلسفة ويختلف كذلك عن علوم الشّريعة كالفقه وأصوله وعلوم الحديث كذلك ، لكنّه يأخذ من هذه العلوم بعض مبادئها وآليّاتها في الحجاج والجدل والاستناد إلى النّصّ الشّرعيّ .

من هنا يمكن أن نضع تعريفا لعلم الكلام ونشير إلى أسباب تسميته كذلك .

**1/ سبب التسمية :** يطلق عليه علم العقيدة وكذلك علم التّوحيد والصّفات ، وهذه التّسمية الأخيرة للجرجانيّ ، يقول :" ويسمى علم أصول الدين أيضا ، والصفات هو علم الكلام ، فهو إذا علم التوحيد والصفات "[[1]](#footnote-2).

يسمّيه كذلك التّهانونيّ يعلم أصول الدّين ، يسمّى كذلك بعلم النّظر والاستدلال ، ويسمّيه أبو حنيفة بالفقه الأكبر ، وهو عنوان لأحد كتبه ، وذلك في مقابل الفقه الأصغر وهو علم الأحكام الفرعيّة أو العمليّة.

أمّا لماذا سمّيّ بعلم الكلام فالرّوايات في ذلك متعدّدة منها ما يذكره ابن خلدون في أنّ التّسمية نابعة من كون هذا العلم قائم على الجدل والمناظرة وهذا بدوره يعتمد على الكلام ، فيكون صاحبه على قدرة كبيرة من قوّة المحاججة والمناظرة ، أو كما يقول : " إمّا لما فيه من المناظرة على البدع وهي كلام صرف ، وليست براجعة إلى عمل ، وإما لأن سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في إثبات الكلام " [[2]](#footnote-3).

ويذكّر الشهرستانيّ رأيا آخر ، يرجع من خلاله سبب التّسمية إلى أن المتكلّمين وضعوا لأنفسهم منّهجا للجدل والحجاج والمناظرة في مقابل منهج الفلاسفة القائم على المنطق فيقول : " وإمّا لمقابلتهم الفلاسفة تسميتهم فنّا من فنون علمهم بالمنطق ، والمنطق والكلام مترادفان ".

هذا ، وتوجد روايات أخرى ترى بأنّه سمّي بعلم الكلام لأنّ أبوابه عنونت بالكلام في كذا ؛ أي في الصّفات في التّوحيد... ، أو سمّي بعلم الكلام لأنّ رأس مسائلة مسألة كلام الله أو لأنّه كثر فيه الكلام ويجمع ألّإيحيي كلّ هذه الآراء في كتابة المواقف في قوله : " وإنّما سمّي الكلام إمّا لأنّه بإزاء المنطق للفلاسفة ، أو لأنّ أبوابه عنونت بالكلام في كذا ، أو لأنّ مسألة الكلام أشهر أجزائه حتّى كثر فيه التّناحر والسّفك فغلب عليه ، أو لأنّه يورث قدرة على الكلام في الشّرعيّات ومع الخصوم "[[3]](#footnote-4).

2/ تعريف علم الكلام :

لعلم الكلام تعريفات عديدة لكنّها كلّها نصب في معنى واحد إذ لا تخرج عن كونه علما من العلوم الشّرعيّة الإسلامية موضوعه العقائد ومنهجه الجدل وغايته الدّفاع عن العقيدة ودفع الشّبه عنها ومرجعيّته النّصّ .

والمقصود بالعقائد أركان الإيمان وهي أصول الدّين موضوعها الله والملائكة والكتب والرّسل واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشرّه ، وهي غير الفروع الّتي ترتبط بالمعاملات وتدخل في ميدان علم الفقه ، وفي ذلك يقول الجرجانيّ ( توفّي " 716 هـ - 1413 م " ) : " الكلام علم يُبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكّنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام ...و الكلام علم باحث عن أمور يعلم منها المعاد وما يتعلّق به من الحبّة والنّار والصّراط والميزان والثّواب والعقاب ، وقيل : الكلام هو العلم بالقواعد الشّرعيّة الاعتقاديّة المكتسبة عن الأدلّة "[[4]](#footnote-5) .

يعرفه ابن خلدون بقوله : " هو علم يتضمّن الحجّاج عن العقائد الإيمانيّة بالأدلّة العقليّة والرّدّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السّلف وأهل السّنّة "[[5]](#footnote-6) .

إن هذا القول للذي يذكره "ابن خلدون" يتضمّن جميع نواح علم الكلام ، أمّ الحجاج فهو طريق المتكلّمين في دفع الشّبه عن الدّين ودرئها ، ومن ثمّة هو منهج لإثبات أصول الدّين بأدلّة عقلية ، فما ورد في النّصّ هو نصّ لا شبهة فيه ومنه يستنبط المتكلّم دليله لإثبات العقائد الإيمانيّة الّتي هو على علم بها ، فهو " العلم بالعقائد الدّينيّة عن الأدلّة اليقينيّة " التّفتزانيّ شرح المقاصد .

أمّا الأدلّة العقليّة فيقصد بأنّ علم الكلام يعتمد على العقل في الحجاج والاستدلال وكذلك في ردّ الشّبه و إبطالها ، فهو منهج ، والمنهج يحتاج إلى الأداة حتّى يتمكّن من أداء عمله ، فكانت أداة المتكلّمين العقل كما كان المنطق أداة الفلاسفة .

وفي ذلك يقول "أبو حيّان التّوحيديّ" ( توفّي " 400 هـ - 1009 م " ) في رسالته ثمرات العلوم : " وأمّا علم الكلام فإنّه باب من الاعتبار في أصول الدّين يدور النّظر فيه على محض العقل في التّحسين والتّقبيح والإحالة والتّصحيح والتّجويز والاقتدار والتّعديل والتّجويز والتّوحيد والتّكفير "[[6]](#footnote-7) .

أمّا غاية علم الكلام فهي الدّفاع عن العقائد الإيمانيّة ودفع الشّبه عن الدين ، ردا على أولئك الّذين كانوا يشكّكون في نصوصه ويثيرون الشّبهات حوله ، وتفصيل هذه المسألة سيكون في خلال الكلام عن أسباب نشأة علم الكلام.

إن علم الكلام بهذا المعنى يختلف عن علم أصول الفقه وعن علم الفقه كذلك ، أما هذا الأخير فيرتبط بالأحكام العمليّة كالصّيام والصّلاة وغيرها من العبادات ، وطريقه في استنباط الحكم الشّرعيّ هو الرأي والاجتهاد ، أو كما يقول أبو حيّان التّوحيديّ " أمّا الفقه فإنّه دائر بين الحلال والحرام ، وبين اعتبار العلل في القضايا والأحكام ، وبين الفرض والنّافلة ، وبين الواجب والمستحبّ ، وبين المحثوث عليه والمنزّه عنه ... " [[7]](#footnote-8).

في حين يختصّ علم أصول الفقه " بإدراك القواعد الّتي نتوصّل بها إلى استنباط الأحكام الشّرعيّة الفرعيّة من أدلّتها التّفصيليّة ، وبمعنى أدقّ هو منهج الفقه أو منطقه ".

1. - الجرجاني علي بن محمد الشريف ، كتاب التعريفات ، تحقيق محمد بن عبد الرحمان المرعشلي ، دار النفائس بيروت الطبعة الأولى 2003، ص234. [↑](#footnote-ref-2)
2. - عبد الرحمان بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ،دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ،الطبعة الأولى ، 2010 ص394. [↑](#footnote-ref-3)
3. - عضد الدين الإيجي ، كتاب المواقف بشرحه للمحقق السيد الشريف بن علي الجرجاني ، تصحيح محمد بدر الدين النعساني ، مطبعة السعادة مصر ، الطبعة الأولى 11325هـ ، ص60-61. [↑](#footnote-ref-4)
4. - الجرجاني ، كتاب التعريفات ، ص 266. [↑](#footnote-ref-5)
5. - عبد الرحمان بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ،ص 388. [↑](#footnote-ref-6)
6. - أبو حيان التوحيدي ، رسالة ثمرات العلوم ، شرح وتعليق وتحقيق أنور محمد زناتي – محمد غالي علي بركات ، نينوي للدراسات والنشر والتوزيع ، دون طبعة وسنة ، ص 102. [↑](#footnote-ref-7)
7. - أبو حيان التوحيدي ، رسالة ثمرات العلوم ، ص34. [↑](#footnote-ref-8)